



مهدي خليل

أنت حر... أم عبد!

وقد خلقك الله حراً بل كن عبداً لله وحده جل جلاله. عندها سكت (سالم) ولم يستطيع ان يعقب أو أن يرد بل جمد في مكانه أمام هذا البحر الهائج المتدفق شعوراً واحساساً وعاطفة... وانسحب من مكانه بضرب كفاً على كف غير قادراً أن يغير موقفاً خطه الحسين ولا ان يعدل رأياً سار عليه أبناء الحسين (ع)... بل أثر الإنسحاب على الهزيمة... أخيراً ظهر القمر وسطعت الشمس بأنوارها وانكشف المستور... وكما أيقن خالد أن الإمام الحسين ليس للشيعة فقط بل للسنة والشيعة وللجميع. بل وسيظل حقيقة أبدية لن يجربها صوت ولا سيف ولا رصاص ولا مدفعية بل قضية مستمرة لن تنتهي أبداً مادامت السموات والأرضون أي مادام هناك ظلم مستمر وتميز باق بين فئة على حساب فئة تركض وراء الدنيا وملذاتها والسلطان وأخرى تدافع عن القيم والمبادئ والرسالة. كذلك أيقن جعفر أن واقعة كربلاء ليست للتجارة عبر الشعارات المخيفة فقط، ولا بالقصص الكاذبة هنا وهناك تكرر من ماتم إلى ماتم كي تكسب منها الآف الدنانير لتركب بها السيارات الفاخرة ولتسكن بها الفلل العالية وتلهج بلسانك في كل ليلة فوق المنابر (كل مالدينا من عاشوراء) متمنياً بقوله الإمام الخميني قدس سره. إننا أيضاً لا بد من أن نسجل موقفاً حيث نرغب في خطباء يجسدون معنى الثبات على الحق والصدق ومسؤولية الكلمة والموقف ويجسدون الأخلاق والسلوك المحمدي وليس في خطباء يجمعون المال من هذا الماتم ومن ذلك الماتم دون مبالين لما يطرحونه من قصص خرافية كي تبكي الحضور والطمع على الصدور. من هنا ظهرت أصوات تنادي من بعض الخطباء الأجلاء بضرورة مراجعة المواد الكلامية والخطب والقصص التي يطرحها أصحاب المقاتل لكي يتم تصحيحها بعيداً عن التحريفات والأوصاف التي حصلت في كربلاء ولا أريد أن أسهب في حجم المبالغات والتحريفات التي أصابت الملحمة الحسينية كما وردت في كتاب الأستاذ مرتضى مطهري منتقداً أحد الخطباء في مجلسه قائلاً: إن البكاء على الإمام الحسين فيه من الثواب الكبير بحيث يمكن للمرء أن يستخدم هذه الوسيلة في التكفير عن كل ذنوبه!! إننا نتمنى أيضاً من الرواد الحسينيين أيضاً الصدق فيما يرددون والثبات على السمعة والسلوك.... كذلك نرغب أيضاً في هذه الأيام بالذات أيام محرم الحرم أن تتلاشى وتختفي كل مظاهر الخلاف والفرقة بين ذلك الماتم وهذا الماتم ولتكن دعوة الإمام الحسين للوحدة وليس للفرقة فلا حاجة لإثارة الحجج الواهية التي يرد بها بث الفرقة بل المطلوب من جميع الإدارات الحسينية خدمة المواكب والماتم بعيداً عن المصالح والأغراض الشخصية وتقليب العقل وإظهار الأخوة والتعاون الذي يرضي الله تعالى أولاً وأخيراً وأهل بيت محمد (ص) ثانياً متمنين أن يكون هذا العام عاماً هجرياً مباركاً تتوحد فيه كلمة المسلمين وكما قال سماحة آية الله محمد حسين فضل الله في خطبة سابقة له... (إن عاشوراء ليست جدلاً للظهور بالسياسة بل إنها حركة وعي ودعوة وجهاد ووحدة).

الخطباء وهو نائماً حيث شاهد نفسه يأكل لحم الحسين (ع) بأسنانه فراح يقص قصته على الشيخ البهائي الذي ارتجف وأطرق برأسه إلى الأسفل ثم رفعه وقال له: هل أنت من قراء التعزية؟ فقال: نعم. فقال له: ينبغي عليك ترك المهنة أو أن تعود إلى المراجع والمصادر الصحيحة!! لأنك بهذه الأكاذيب والقصص المحرفة التي ترويها للناس ويتأقلمها الكثير من الخطباء مثلهم مثل من يقطع بدن الحسين (ع) بأسنانه! عندها زاد فضول خالد أكثر وأكثر إلى معرفة المزيد من ملحمة كربلاء والتقرب إلى ريحانة الرسول (ص) والتي فتحت له أفقاً لم يكن يدركها! خصوصاً وأن دقات قلبه تحاصره ليلاً نهاراً إلى أن استوفته كثيراً عند هذا البيت من الشعر للشمر بعد أن أجهز على ريحانة الرسول (ص) وراح يتبخر طالباً الجائزة: إملاء ركابي فضة وذهبا اني قتلت خير الناس أما وانا هذا البيت من الشعر الذي حتماً تبرأ منه الأدب العربي والذي كيف استطاع الشاعر أن يصور لنا قتل ريحانة الرسول (ص) من أجل الدنيا ولم يوقضه من بكاءه العال المتفاعل مع هذا البيت إلا صديقه (جعفر) يخبره بانتهاء المجلس الحسيني... حينها عاد خالد إلى بيت والده وهو مهموماً مغموماً وتوجه رأساً إلى غرفته دون أن يلقي التحية على والدته ونام مبكراً نائماً مع صديقه جعفر لتناول طعام العشاء! ولكن يقضة الضمير وصحوة القلب حالت بينه وبين نومه والتي ايقضته في منتصف نومه بفكره في حالته هذه وهو قلب عقله وفكره... إلى أن أطلق العنان إلى ضميره! ماذا أفعل حينما أحاسب عن عقلي وعواظني... عن خذلاني لهما ولريحانة الرسول! ماذا أقول أو بما أتعذر! يا ويلي... ماذا أقول للرسول (ص) ولعاطمة (ع) يوم الحساب! ألم أسمع داعية الحسين؟ ألم أسمع عن نصرته وعن وحدته ومظلوميته؟ إلى استسلم للبكاء والتحجب في حلقة الليل وسكونه حتى أيقض والدته مذعورة مسرعة إليه لوضمته إليها كما تضم الأم طفلها وما أن رفع رأسه حتى انهالت عليه بأسناتها مع نبرتها الحاقدة التي لم يعجبها سلوكه خصوصاً ما شاهدته منه هذه الليلة! حيث لم تستطيع ان تخفي حركاته وسلوكه حتى شكته إلى خاله (سالم)!. وما عساك أن تفعل يا خالي العزيز في قلبي الحائر المضطرب! أو مع فتعاتي المتدفقة... أو مع عواظي الهائجة كأنها بحر لحي! ماذا عساك أن تفعل يا خالي!! أبعاد فوات الأوان. هل تستطيع أن تقفل قلبي أو تستخرج حبي لهذا الشخصية الفريدة من نوعها... هل تمنعني من البكاء على ذلك الخد التريب أو الجسد العريان الذي ضل ثلاثة أيام دون أن تقترب منه عسلان الفلوات! أو تمنعني من عشقي وحبِّي لريحانة رسول الله الذي منع عنه الماء! حبي لهذا المنحرف الشريف الذي ظل يتدفق إلى اليوم حياً وكرامة وهيبة للملايين الفقراء والمستضعفين والمحرومين. أم للثغر الذي راح يتلوا سورة ياسين وهو محمولاً فوق الأسننة يدار به من بلد إلى بلد! أسمع يا خالي ((الحسين ليس للشيعة فقط بل للجميع للسنة والشيعة والمسيح وللمحرومين وللمستضعفين والأيام)). الحسين سفينة النجاة... وقضية سنظل باقية نعيشها كل يوم في سلوكنا في معاملاتنا فمن فهمنا نجى بنفسه ومن تخلى عنها هلك وهلك من كان معه! يا خالي لا تكن عبداً لغيرك

((جعفر... وخالد)) صديقاً الطفولة... وزملاء الدراسة... شابان عاشا ملح الحياة وسكرها مرها وحلوا هكذا يسمونهما أهالي الحي الذي يقطنانها لطول صداقتها منذ ان فتحا عينهما في الحي الصغير الواقع في إحدى ضواحي العاصمة وهما أرباب صغاراً أصدقاء أحرار وأكثر من أخوان حيث يعيشان سنويا عاشوراء الذكرى فقط دون العبرة يستمعان للخطباء عبر المنابر و يتردد ان على جميع ماتم العاصمة يبحثان عن الوجبات الدسمة التي تقدمها الماتم المختلفة واذهانها مشغولة فقط بالأكل والشرب. كلاهما لا يعرفان أن عاشوراء في حياة الحسين (ع) أكبر هم وأكبر مصيبة عاشها الإمام مع أهل بيته خصوصاً أخته الطاهرة زينب (ع) ضد الطغمة الفاسدة المستكبرة الجائمة على صدر الأمة آنذاك ولكنها فهما من كربلاء أن الإمام الحسين ع قدم دمه ونسائه بل وابنائهم كالأضاحي دون أن يدركا السبب وراء اقدام الإمام (ع) على هذا الخطوة وما المغزى من ذلك كله! إلى أن نضج العقل ونمت الفكرة وطلع القمر و سطعت الشمس بأنوارها... راح جعفر يخطب في خالد من على منبر عقله وعواظفه قلبه ((إن الحسين (ع) رفض البيعة والمغريات وأثر الموت من أجل المبادئ والقيم التي تتشدد بها اليوم الدول العربية والجمعيات الدولية وكشف زيف المستكبرين المتسلطين وكشف وعري للعالم الشخصيات البلاطية والطوبوية المتمثلة في بنو أمية وقدم لنا انموذجين من واقع كربلاء هما الإنسان المادي الطوبوي والطاغية الأموي الذين ركضوا وراء المادة والسلطان والبلاط والانموذج الثاني هو الإنسان الحسيني العاشوري (أصحاب الحسين الحر وزهير وحبیب ومسلم) وعلى رأسهم أخيه العباس)). كل هذه المشاهد والحورات والمواقف الحسينية التي سمعناها ظلت عالقة في اذهانها خصوصاً (خالد) الذي لم يستطع أن يكتفها في قلبه حتى فجرها يوماً. (ما أعجبني يا جعفر وشدني كثيراً وكاد أن يقلب حياتي رأساً على عقب هو موقف العباس البطولي والرجولي مع أخيه (الإمام الحسين) وذلك عندما سمعته من الخطباء البارحة حينما انبرى من منبره وهو متحمساً قائلاً: ((إن العباس رفض البيعة والمنصب بل رفض الدنيا كلها من أجل الحسين (ع) والأدهى من ذلك أنه رفض الأمان والأمان لنفسه في حين أخيه لا أمان له)) و الذي أكده أيضاً حينما صرخ الخطيب في وجوهنا حتى ظننت أن الشمر جالساً بيننا قائلاً ((قبح الله وجهك يا شمر... تعطيني الأمان والأمان وإخي وريحانة رسول الله لا أمان له)). ولكن لو لا تلك المشاهد الدخيلة التي سمعتها منه التي حالت أن تميلني!! وما هي المشاهد التي أزعجتك يا خالد! المبالغة الزائدة في تصوير الخطيب لشخصية العباس وهو يقاتل لوحده وهو في حالة هذه! هنا سكت جعفر ولم يعقب إلى أن تدخل القدر فدخلنا احد الماتم وقد انتصف الخطيب في حديثه وهو يروي إحدى القصص الهادفة عن المرحوم (الحاج النوري) في كتابه اللؤلؤ والمرجان التي رواها أحد



عيسى غريب

أفجلتنا قروضك يا حكومة!!

عجبت، وعجبي لا انقضاء له منكما يا حكومة!!.. لماذا!؟ وكيف!؟ وترى!؟ وهل!؟.. أسئلة تتردد في ذهني، ولا أجد لها أجوبة، فأزداد حيرة!!.. أتساءل باستغراب بيني وبين نفسي قائلاً: ماذا الحكومة الموقرة إلى الآن لم تقرر ان زيادة القروض الإسكانية، لماذا!؟ ومتى ستقرر ذلك!؟، هل بعد تقديم أضاحي جديدة قادمة على مذبح القروض!؟.. ترى هل تترك حكومتنا المحترمة مدى المعاناة التي يكابدها من يقع في شرك القروض الهزيلة التي تمنح لهم!؟، ترى هل تعرف مدى الشقاء الذي يتجرعه من شرب من كأس القروض الهزيلة المر!؟، ترى هل تعلم بمدى الآلام والعضوضات النفسية والاجتماعية والمالية التي يصارعها من غاص في وحل القروض!؟... ترى هل تعلم!؟!! فإذا كانت لا تعلم فتلك مصيبة، وإن كانت تعلم فالمصيب أشد وأعظم!! وأتساءل حائراً مندهشاً: كيف تقبل وزارة الإسكان المحترمة على نفسها بمنح هكذا قروض مخجلة للمواطنين!؟، وكيف تقبل الوزارة الإساءة إلى نفسها وإلى تاريخها بدفع هكذا قروض هزيلة لا تمثل في الغالب إلا ربع ما يحتاجه المواطن لبناء أو شراء بيت!؟ كيف!؟ ويتمكنني العجب وأنا أتساءل: ترى كيف تنظر وزارة الإسكان إلى طلبات القروض الإسكانية!؟ هل تنظر إليها كحالات إنسانية يستحق أصحابها العيش في مساكن تليق بهم وبأسرهم!؟.. أم تنظر إلى الطلبات كأرقام تريد التخلص منها ولفظها بأسرع وقت وبأي طريقة!؟ عفواً عفواً.. هل تريد الوزارة المحترمة من المواطن أن يكون (فهولياً) ويتصرف!؟، حسنناً.. ولكن كيف!؟!! لقد أمضيت شخصياً إلى الآن أكثر من سنتين وأنا أفكر، كيف أتصرف!؟، وإلى الآن لم أتوصل إلى الحل والمخرج!! نعم اعترف بذلك، وأقر بأنه قد (غلب حماري) وأرفع الراية البيضاء!، فلتتكرم علينا الوزارة وتخبرنا ماهي الحيلة والوسيلة!؟ وتدلنا على المخرج وترشدنا إلى ستره النجاة، حتى لا نفرق كما غرق من سبقونا بين أمواج القروض الإسكانية والقروض الشخصية المتلاطمة العاتية!! إنه لمن سخرية القدر، أنه بدلاً من أن يستبشر المواطن ويطيير فرحاً تقرب حصوله على قرض إسكاني، يبني أو يشتري به بيتاً يأويه مع أسرته.. يصبح الأمر مصدر هم وقلق وكوابيس، وكان حكماً بالإعدام عليه سيصدر!! لماذا!؟!! هذه تساؤلات برسم الحكومة الموقرة ووزارة الإسكان المحترمة، الوزارة التي تمنى حقيقة أن تعيد نظرها بسياستها في القروض الإسكانية وتقوم بتصحيحها، حفاظاً على دورها الريادي في مجال الخدمات الإسكانية.. وأن تكون واقعا العون الأكبر للمواطنين في مسكنهم ومأواهم.. لا أن تتعامل معهم وكأن بينها وبينهم ثار!!